Diyala Journal
for Human Research
Website:
djhr.uodiyala.edu.iq

مجلة ديالى
للبحوث الإنسانية

p ISSN: 2663-7405
e ISSN: 2789-6838

مجلة ديالى للبحوث الانسانية

العدد (99) المجلد (1) اذار

مَوَانِعُ فَهْمِ النَّصِّ عندَ ابنِ فارسٍ ت:395هـ

(دراسةٌ لُغويّةٌ)

م. د. ياسر عناد كاظم

دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلاميّة- ديوان الوقف السنيّ/العراق

Email: yassirinad@gmail.com

Published: 1- 3-2024

Keywords: موانع، فهم، النصّ، ابن فارس، دراسة لغويّة

هذه مقالة وصول مفتوح بموجب ترخيص
CC BY4.0
(http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/)

Abstract

This research stands at an important issue, which is the obstacles to understanding the text, which cause a problem in the linguistic communication between the originator of the text and its reader or listener, so that they miss the correct understanding, in whole or in part, from knowing what the author means .

These barriers were referred to by the great linguist, Ahmed bin Faris (d.: 395 AH), and he specified that they prevent understanding speech in all its forms from the Holy Qur'an, the noble hadith, and the speech of the Arabs, its poetry and prose, with selected examples from these texts, so this research came to highlight this important issue, A descriptive and analytical linguistic study, as well as a prelude to identifying understanding, its importance, validity, and related matters

الملخص

يقفُ هذا البحثُ عند قضيةٍ مُهمّةٍ، ألا وهي موانِعُ فَهمِ النصّ، التي تُسبّبُ إشكالًا في التواصلِ اللُّغويّ بين مُنشِئ النصّ وقارئِه أو سامعِه، فيفوتُ عنهما الفَهمُ الصحيحُ كُليًا أو جُزئيًا عن معرفةِ مُرادِ صاحبِه.

هذه الموانِعُ أشارَ إليها اللغويُّ الكبيرُ، أحمدُ بنِ فارسٍ (ت:395هـ)، وحدّدها بأنّها تحولُ عن فَهمِ الكلامِ بكلّ صورِه من القرآنِ الكريمِ، والحديثِ الشريفِ، وكلامِ العربِ شِعرِه ونثرِه، بأمثلةٍ مُختارة من هذه النصوصِ، فجاء هذا البحثُ ليُبرِّزَ هذه القضيّةَ المُهمّةَ، بدراسةٍ لُغويّةٍ وصفيّةٍ تحليليّة، فضلًا عن تمهيدٍ قبلَه للتعرُّفِ على الفَهْمِ، وأهميّتِه، وصحتِه، وما له صلةٌ.

المقدمة

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ والصلاةُ والسلامُ على سيّدِنا محمّدٍ وعلى آلِه وصحبِه أجمعينَ، اللهمَّ يا مُعلمَ آدمَ وإبراهيمَ علمْني، ويا مُفهّمَ سليمانَ فَهمْني، ويا مُؤتي لُقمانَ الحكمةَ آتني الحكمةَ وفصلَ الخطاب، آمين.

لقد تَتَبَّعَ علماءُ العربيّةِ والأصولِ ظاهرةَ غموضِ المعنى في النصّ، فدرسوها ورصدوا مظاهرَها وعلّلوا لها، فاعتنى اللغويونَ بالمفرداتِ وما يتّصلُ بها ممّا يُعدّدُ المعنى أو يسبّبُ خفاءَه نتيجةَ الترادفِ أو الاشتراكِ اللفظيّ أو التضادِ، وأمّا النحويّون فعدّوا ظاهرةَ الغموضِ بسببِ التركيبِ النحويّ فيما يُعرفُ عندهم باللبس، فكانت عنايتُهم بالمفرداتِ من حيثُ صلتِها بالتركيب أقلَّ من عناية اللغويينَ بها، غيرَ أنّ البلاغيّينَ أجمعوا على أنّ غموضَ المعنى وخفاءَه يقعُ غالبًا بسببِ تعدُّدِ دلالةِ اللفظِ أو التركيبِ النحويّ أو الغلوِ والإحالةِ في التشبيهِ والاستعارةِ، في حينِ أفادَ الأصوليّونَ من جهود علماء العربيّة بصورة مباشرة إلا أنَّ دراستَهم لظاهرةِ الوضوحِ والغموضِ في النصّ القرآنيّ قد شَغَلَتهم أكثرَ من غيرهم؛ وذلك لارتباطِها بالحُكم الشرعيّ، وما يتَّصلُ به من تحليلٍ وتحريمٍ[1]، فتَوَجَّهَت دراستُهم لبيانِ تفاوتِ النصّ في القطعيّة والاحتمالِ لتعدُّدِ المعاني، وغيرُها من البحوثِ المشتركةِ مع العربيّةِ، فكانت غايتُهم جميعًا خدمةَ النصّ بفَهمِ معناه، وكشفِ غموضِه، ومعرفةِ مُرادِ صاحبِه[2].

هذا البحثُ يركزُ على قضيةٍ مُهمّةٍ، ألا وهي موانِعُ فَهمِ النصّ، التي تسبّبُ إشكالًا في التواصلِ اللغويّ بين مُنشِئ النصّ وقارئِه أو سامعِه، فيفوتُ عنهما الفَهمُ الصحيحُ كُليًا أو جُزئيًا عن معرفةِ مُرادِ صاحبِه.

([1]) ينظر: العربيّة والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى:17- 19.

([2]) ينظر: ثمرُ الثُّمام شرحُ غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام: 37.

هذه الموانعُ أشارَ إليها اللغويُّ الكبيرُ، أحمدُ بنِ فارسٍ، وحدّدها بأنّها تحولُ عن فَهمِ الكلامِ بكلِّ صورِهِ من القرآنِ الكريمِ، والحديثِ الشريفِ، وكلامِ العربِ شِعرِهِ ونثرِه، بأمثلةٍ مُختارةٍ من هذه النصوصِ، فجاء هذا البحثُ ليُبرِّزَ هذه القضيّةَ المُهمّةَ، بدراسةٍ لغويّةٍ وصفيّةٍ تحليليّة، فضلًا عن تمهيدٍ يسبقُه للتعرُّفِ على الفَهْمِ، وأهميّتِه، وصحتِه، وما له صلةٌ.

وأخيرًا وليس آخرًا إن أحسنتُ فمن الله وإن أخطأتُ فمن نفسي، واللهَ أسألُ أن يكتب لنا الأجرَ والقبولَ والثوبَ... آمين.

التمهيد

تعريفٌ وإيضاحٌ

- **الموانعُ:**

الموانِعُ في اللُّغة جمعُ مانِعٍ، مشتقٌّ من الفعل (مَنَعَ)، وهو الحائلُ بين الشيئَينِ، فعن الخليل (ت:170هـ) قولُه: ((مَنَعْتُه أمْنَعُه مَنْعًا فامتَنَعَ، أي: حُلتُ بينَه وبينَ إرادتِه، ورجلٌ مَنِيعٌ: لا يُخْلَصُ إليه، وهو في عِزٍّ ومَنَعَةٍ، ومَنَّعَةٍ- يُخفّف ويُثقّل، وامرأةٌ مَنِيعَةٌ: متمنّعة لا تُؤاتَى على فاحِشةٍ، قد مَنُعَت مَناعةً، وكذلك الحِصنُ ونحوه، ومَنُعَ مَناعةً إذا لم يُرَمْ))[1]، والمانِعُ في الاصطلاح، هو: ((ما يلزمُ من وجودِه انْتِفَاءُ الحُكمِ))[2].

- **الفَهْمُ:**

الفَهْمُ في اللُّغة مشتقٌّ من الفعل (فَهِمَ)، وهو معرفةُ الشيءِ، والعلمُ به، قال الخليلُ: ((فَهِمْتُ الشيء فَهْمًا وفَهَمًا: عَرَفتُه وعَقَلتُه، وفَهّمْتُ فُلانًا وأَفْهمْتُه: عَرَّفتُه... ورجلٌ فَهِمٌ: سَريعُ الفَهمِ))[3]، وقال الجوهريُّ (ت:393هـ): ((فَهِمْتُ الشيءَ فَهْمًا وفَهَامِيةً: عَلِمتُه، وفُلانٌ فَهِمٌ، وقد اسْتَفْهمني الشيءَ فأفْهمْتُه، وفَهِمْتُه تَفْهِيمًا، وتفَهّمَ الكلامَ، إذا فَهِمَهُ شيئًا بعد شيءٍ))[4]، وأصّلَه ابنُ فارس، بقوله: ((الفاءُ والهاءُ والميمُ عِلمُ الشّيءِ))[5]، وأضاف ابنُ منظورٍ (ت:711هـ) أنّ ((الفَهمَ: مَعرِفَتُكَ الشيءَ بالقلب))[6].

وأمّا الفَهمُ في الاصطلاح فهو لا يبتعدُ كثيرًا عن معناه اللُّغويّ، فقد عرّفه الشريفُ الجُرجانيُّ (ت:816هـ) بأنّه ((تصوُّرُ المعنى من لفظِ المُخاطبِ))[7]، وعرّفه جلالُ الدينِ السيوطيّ (ت:911هـ) بأنّه

([1]) كتاب العين، مادة (منع):163/2، وتهذيب اللغة، مادة (منع):14/3.

([2]) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:79.

([3]) كتاب العين، مادة (فهم):61/4.

([4]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (فهم):2005/5.

([5]) معجم مقاييس اللغة، مادة (فهم): 457/4.

([6]) لسان العرب، مادة (فهم): 459/12

([7]) كتاب التعريفات:169.

((إدراكُ الأشياءِ الجُزئيّةِ))[1]، وعرّفه أبو البقاء الكفويّ (ت:1094هـ) أيضًا بلفظٍ قريبٍ من تعريفِ الشريفِ الجُرجانيّ بأنّه ((تصوُّرُ الشيءِ من لفظِ المُخاطبِ))[2].

فالفَهم إذًا هو إدراكُ الشيءِ الملفوظِ، وتصوُّرُ معناه، والعلمُ به، ومعرفتُه معرفةً تامةً بالقلبِ.

- **النَّصُّ:**

النَّصُّ في اللُّغة مشتقٌّ من الفعل (نَصَصَ)، وهو الرفعُ، والعَزْو، والإسنادُ، والإظهارُ، والاستقصاءُ، وما قاربها من المعاني، قال الخليل: ((نَصَصْتُ الحديثَ إلى فُلانٍ نَصًّا، أي رَفَعْتُه... ونَصَصْتُ ناقتي: رَفَعْتُها في السير... ونَصَصْتُ الرجلَ: استقصَيْتُ مَسْأَلتَه عن الشيءِ، يقال: نَصَّ ما عنده، أي استقْصاه، ونَصُّ كلِّ شيءٍ: مُنتَهاهُ))[3]، وقال ابن دريد: ((نَصَصْتُ الحَدِيثَ أنصُّه نَصًّا إذا أظهرتُه، ونَصَصْتُ العَرُوسَ نصًّا إذا أظهرتُها، ونَصَصْتُ البَعِيرَ فِي السّير أنصُّه نَصًّا إذا رفعتُه، وقالوا: نَصَصْتَ الحديثَ إذا عَزَوتَه إلى مُحدثكَ به))[4]، وذكر الأزهريّ أنّ ((النَّصَّ: الإسنادُ إلى الرئيسِ الأكبرِ، والنَّصُّ: التّوقيفُ، والنَّصُّ: التّعيينُ على شيءٍ ما))[5].

وأمّا النَّصُّ في الاصطلاح فقد تداولَه علماؤُنا العربُ الأوائلُ في مجالِ العلومِ الشرعيّةِ من الكتابِ والسُّنّةِ، فنجد الشريفَ الجُرجانيَّ يعرّفُه بأنّه ((ما لا يحتملُ إلّا معنىً واحدًا، وقيل: ما لا يحتملُ التأويلَ))[6]، وعرّفه جلالُ الدينِ السيوطيّ بقوله: ((اللفظُ المُفيدُ المُرتفعُ عن قبُول التأويلِ، وقيل: ما لا يحتملُ إلّا تأويلًا واحدًا، وقيل: ما يستوي ظاهرُه وباطنُه، وقيل: ما تعرّى لفظُه عن الشُّبْهة ومعناه عن الشركةِ، وقيل: ما وقعَ في بيانِه إلى أقصَى غايتِه))[7]، وذكر الكفويُّ أنّ ((النَّصَّ أصلُه أن يتَعَدَّى بنفسه؛ لأنَّ معناهُ الرّفعُ البالِغُ، ومنه مَنَصّةُ العَرُوسِ، ثُمَّ نُقِلَ في الاصطلاحِ إلى الكتابِ والسُّنّةِ، وإلى ما لا يحتملُ إلّا معنًى واحدًا... والنَّصُ قد يُطلقُ على كلامٍ مفهومِ المعنَى سواءٌ كان ظاهرًا أو نصًّا أو مُفَسّرًا اعتِبارًا مِنه للغالبِ؛ لأنّ عامَّةَ ما وردَ من صاحبِ الشريعةِ نُصُوصٌ))[8].

وأمّا النّصُّ عند علماءِ اللُّغة المحدثينَ فتعدّدت تعريفاتُهم له، وتباينت، وتداخلت إلى درجةِ الغموضِ أحيانًا، وإلى التعقيدِ أحيانًا أخرى؛ نظرًا لاختلافِ الاتجاهاتِ التي تعتمدُها هذه التعريفاتُ، فمنهم مَن

([1]) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:200.

([2]) الكليات: 697.

([3]) كتاب العين، مادة (نصّ):7/86-87.

([4]) جمهرة اللغة، مادة (نَصَصَ):1/145.

([5]) تهذيب اللغة، مادة (نصّ):12/82.

([6]) كتاب التعريفات:241.

([7]) معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم:63.

([8]) الكليات: 908.

يصفُ المكوناتِ اللغويّةَ للنصّ، ومنهم يُركّزُ على عدِّ النصَّ حدثًا لغويًّا تواصليًّا[1]، ومن هذه التعريفات:

أنّ كلمةَ نصٍّ (Text) تعني في علم اللُّغويات- كما أشار العالِمانِ (مايكل هاليداي)، و(رقيّة حسن)- أيَّ فقرةٍ لغويّةٍ مكتوبةٍ أو منطوقةٍ، مكوّنةً وحدةً متكاملةً، مهما كان طولُها[2]، ومنهم مَن عرّفه بأنّه ((القولُ اللُّغويُّ، المكتفي بذاتِه، والمكتملُ بدلالته))[3]، أو هو((وحدةٌ لُغويّةٌ حالَ استخدامِها أو وحدةٌ تواصليّة))[4]، ومنهم مَن جعلَ للنصِّ معاييرَ سبعةً مجتمعةً تتوفّرُ فيه لكي يكونَ نصًّا، وهي: الربطُ النحويّ، والتماسكُ الدلاليّ، والقصديّةُ، والمقبوليّةُ، والإخباريّةُ، والمقاميّةُ، والتناصُّ[5]، وغير ذلك من التعريفات[6].

والخلاصةُ ممّا سبقَ يمكنُ أن **نعرّفَ النَّصَّ** بأنّه كلُّ كلامٍ مكتوبٍ أو منطوقٍ، مكتملُ الموضوعِ، مفهومُ المعنَى، جملةً كان أو مجموعةَ جملٍ، مهما كان طولُه.

- **أهميةُ الفَهمِ:**

إنّ الفَهمَ والإفهامَ غايةُ اللُّغة ووظيفتُها الأساسُ في التواصلِ بين أفرادِ المجتمعِ، وهذا التواصلُ لا يكونُ إلّا بهما بين القائلِ، والسامعِ أو المتكلّمِ، والمخاطَبِ، إذ ذكرَ الجاحظُ (ت:255هـ) أنّ الفَهمَ والإفهامَ غايةُ البيانِ حين عرّفه، بقوله: ((اسمٌ جامعٌ لكلّ شيءٍ كشفَ لك قِناعَ المعنى، وهتكَ الحجابَ دونَ الضميرِ، حتى يُفضِيَ السامعُ إلى حقيقتِه، ويهجمَ على محصولِه، كائنًا ما كان ذلك البيانُ، ومن أيّ جنسٍ كان الدليلُ؛ لأنَّ مدارَ الأمرِ والغايةَ التي (إليها) يجري القائلُ والسامعُ إنّما هو الفَهمُ والإفهامُ؛ فبأيّ شيءٍ بلغتَ الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى فذلك هو البيانُ في ذلك الموضعِ))[7].

والفَهمُ والإفهامُ أساسٌ في البلاغةِ، فقيل في تعريفِها أنّ ((البلاغةَ الفَهمُ والإفهامُ وكشفُ المعاني بالكلامِ، ومعرفةُ الإعرابِ، والاتساعُ في اللفظِ، والسدادُ في النظمِ، والمعرفةُ بالقصدِ، والبيانُ في الأداءِ،

---

(1) ينظر: نحوُ النصّ، د. أحمد عفيفي: 21، والخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النصّ والسياق:17-19، وعلم لغة النصّ، د. عزة شبل محمد: المقدمة (ز).

(2) ينظر: نحوُ النصّ: د. أحمد عفيفي: 22، وطبيعة النصّ وعلاقته بسياق المقام (بحث):124.

(3) بلاغة الخطاب وعلم النصّ:214-215.

(4) علم لغة النصّ، د. عزة شبل محمد: المقدمة (ز).

(5) ينظر: مدخل إلى علم لغة النصّ، إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد:11-12، وعلم لغة النصّ، د. عزة شبل محمد: المقدمة (ز).

(6) ينظر: علم لغة النصّ، د. عزة شبل محمد: المقدمة (ز).

(7) البيان والتبيين: 82/1.

وصوابُ الإشارةِ، وإيضاحُ الدلالةِ، والمعرفةُ بالقولِ، والاكتفاءُ بالاختصارِ عن الإكثار، وإمضاءُ العزمِ على حكومةِ الاختيارِ))[1].

إذًا لا يمكنُ التواصلُ الاجتماعيُّ بين أفرادِ المجتمعِ من دون الفهم؛ إذ إنّ التواصلَ الاجتماعيَّ مبنيٌّ عليه بين المتكلّمِ والمخاطَبِ، وهما أساس التواصل.

- **صِحّةُ الفَهمِ:**

صِحةُ الفَهمِ أو الفَهمُ الصحيحُ نِعْمةٌ عظيمةٌ من نِعَم الله عزَّ وجلَّ، فبها يُميّزُ الصحيحُ والفاسدُ، والحقُّ والباطلُ، والهُدَى والضلالُ، وغيرُ ذلك، وفيه تفاوتت مراتبُ العلماء، قال ابن قيم الجوزيّة (ت 751هـ): ((صِحةُ الفَهمِ نورٌ يقذفُه اللهُ في قلبِ العبدِ، يُميّزُ به بين الصحيحِ والفاسدِ، والحقّ والباطلِ، والهُدى والضلالِ، والغيّ والرشادِ، ويَمُدُّه حُسنَ القصدِ، وتَحَرّي الحقّ، وتَقوَى الربِّ في السِّرّ والعلانيةِ، ويَقطعُ مادَّتُه اتّباعَ الهوَى، وإيثارَ الدنيا، وطلبَ مَحْمَدةِ الخلقِ، وتركَ التقوى))[2]، وقال أيضًا مادحًا الفَهمَ ومبيّنًا قيمتَه في كتاب آخر: ((الفَهمُ نعمةٌ من اللهِ على عبدِه، ونورٌ يقذفُه اللهُ في قلبِه، يَعرِفُ به، ويُدرِكُ ما لا يُدرِكُه غيرُه ولا يَعرِفُه، فيَفهمُ من النصّ ما لا يَفهمُه غيرُه، مع استوائِهما في حِفظِه، وفَهمُ أصلِ معناه. فالفَهمُ عن اللهِ ورسولِه عنوانُ الصديقيّةِ، ومنشورُ الولايةِ النبويّةِ، وفيه تفاوتتْ مراتبُ العلماءِ، حتى عُدَّ ألفٌ بواحدٍ، فانظُرْ إلى فَهمِ ابنِ عباسٍ وقد سألَه عمرُ، ومَن حضرَ مِن أهل بدرٍ وغيرِهم عن سورةِ: ﭽ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭼ[3]، وما خُصَّ به ابنُ عباسٍ من فَهمِه منها أنّها نَعيُّ اللهِ سبحانَه نبيَّه إلى نفسِه وإعلامُه بحضورِ أجلِه[4]، وموافقةُ عمرَ له على ذلك، وخفائه عن غيرهما من الصحابة، وابن عباس إذ ذاك أحدثُهم سنًّا، وأين تجدُ في هذه السورةِ الإعلامَ بأجلِه، لولا الفَهمُ الخاصُّ؟))[5].

وهذا ما نراه في حياتِنا اليوميّةِ من تفاوتِ الفَهمِ السديدِ بينَ الناسِ، في أمورِ دِينِهم، ودُنياهم فمنهم المحرومُ، ومنهم المُنعّمُ؛ فهو رزقٌ من اللهِ تعالى.

موانعُ فَهمِ النصّ عن ابنِ فارسٍ

إنّ الفَهمَ يعتمدُ أساسًا على وضوحِ الكلامِ، ودقّتِه، وهو– الكلامُ– على مراتبَ ففيه الواضحُ، وهو الأصلُ، والأكثرُ، وفيه المُشكِلُ أو الغامِضُ وهو الأقلُّ؛ وهذا الإشكالُ أو الموانعُ له أسبابٌ تحولُ بين القارئ أو السامعِ وبين الفَهمِ، وقد تحدّثَ عنها ابنُ فارسٍ محدّدًا تلك الموانعَ التي تمنعُ الفَهمَ، وهي تشمُلُ

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: 247/1.

(2) إعلام الموقعين عن رب العالمين: 69/1.

(3) سورة النصّر: ١.

(4) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن:669/24.

(5) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: 65/1.

كلَّ كلامٍ عربيٍّ من القرآنِ الكريمِ، والحديثِ النبويِّ الشريفِ، وسائرِ كلامِ العربِ شِعرًا، ونَثرًا، بقولِه تحتَ عنوانٍ: (بابُ مراتبِ الكلامِ في وُضوحِه وإشكالِه): ((أمّا واضحُ الكلامِ فالذي يَفهَمُه كُلُّ سامعٍ عَرَفَ ظاهِرَ كلامِ العربِ، كقولِ القائلِ: شَرِبتُ ماءً، ولَقِيتُ زيدًا، وكما جاءَ في كتابِ اللهِ جلَّ ثناؤُه من قولِه: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭼ[1]، وكقولِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلمَ: ((**إِذَا اسْتَيْقَظَ أحدُكم من نومِه، فلا يَغْمِسْ يدَه فِي الإِناءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثلاثًا**))[2]... وهذا أكثرُ الكلامِ وأعمُّه. وأمّا المُشكِلُ، فالذي يأتيهِ الإشكالُ من **غَرابةِ لفظِه**، أو أن تكونَ **فيه إشارةٌ إلى خبرٍ لم يذكرْه قائلُه** على جهتِه، أو أن يكونَ الكلامُ في شيءٍ **غيرِ محدودٍ**، أو يكونَ **وَجيزًا في نفسِه** غيرَ مَبسوطٍ، أو تكونَ **ألفاظُه مُشتركةً**... وعلى هذا الترتيبِ يكونُ الكلامُ كُلُّه في الكتابِ، والسُّنّةِ، وأشعارِ العربِ، وسائرِ الكلامِ))[3].

حينَ نُمعِنُ النظرَ في كلامِ ابنِ فارسٍ رحمه اللهُ تعالى فيما يخُصُّ أسبابَ الإشكالِ في الكلامِ أو موانعِ فَهمِ النصِّ فأنّنا نجدُه قد حدّدَها، مركزًا على المفرداتِ دونَ التراكيبِ النحويّةِ؛ إذ اعتنى اللغويّونَ بالمفرداتِ وما يتّصلُ بها ممّا يُعدّدُ المعنى أو يسبّبُ خفاءَه نتيجةَ الترادفِ أو الاشتراكِ اللفظيِّ أو التضادِ، وأمّا النحويّون فعدّوا ظاهرةَ الغموضِ بسببِ التركيبِ النحويِّ فيما يُعرفُ عندهم باللَّبسِ، فكانت عنايتُهم بالمفرداتِ من حيثُ صلتِها بالتركيبِ أقلَّ من عنايةِ اللُّغويينَ بها[4]، فذكرَ غرابةَ اللفظِ، والمشتركَ اللفظيَّ، هذا فيما يتعلّقُ بداخلِ النصّ أو ما يُسمَّى بالسياقِ اللُّغويِّ، فضلًا عن ذكرِ أسبابٍ تتعلّقُ بطريقةِ عرضِ النصّ وتقديمه للقارئ أو السامعِ كالإجمالِ، والإيجازِ، وأمّا فيما يتعلَّقُ بخارجِ النصّ أو ما يُسمَّى بالسياقِ غيرِ اللغويّ أو سياقِ الحالِ فقد أشار إليه بأنّ النصَّ مرتبطٌ بخارجِ النصّ؛ إذ قد يحتوي النصُّ على إشاراتٍ إلى خارجِ النصِ، وهو البيئةُ غيرُ اللُّغويّةِ، من تعلُّقِه بخبرٍ أو قصةٍ، أو نحوها ممّا له عَلاقةٌ بسياقِ الحالِ.

هذه الموانعُ التي أشارَ إليها ابنُ فارسٍ يمكنُ تقسيمُها إلى ثلاثةِ أقسامٍ: موانعُ داخلِ النصّ (موانعُ لُغويّةٌ)، وموانعُ خارجِ النصِّ (موانعُ غيرُ لُغويّةٍ)، وموانعُ تتعلّقُ بطريقة عرضِ النصِ، وسنتعرّفُ على هذه الأقسامِ الثلاثةِ من الموانعِ إن شاءَ اللهُ تعالى على هذا الترتيبِ بشيءٍ من الإيجازِ.

القسم الأول: الموانعُ اللُّغويّةُ

([1]) سورة المائدة، جزء من الآية: ٣.

([2]) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب كراهة غمس المتوضئ وغيره يدَه المشكوك في نجاستها في الإناء قبل غسلها ثلاثا، رقم الحديث: (278):1/233.

([3]) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها:40-43.

([4]) ينظر: العربيّة والغموض: 19.

إنّ النَّصَّ هو البيئةُ اللُّغويّةُ من المفرداتِ، والعباراتِ، والجُملِ التي تكوّنُه وتتفاعلُ معه، وهو يحتوي على مفاتيحَ عدّةٍ تعينُ على فَهمِه، فإذا أردنا فَهمَ معناه وجبَ علينا أن نُحلِّلَه على وفقِ مستوياتٍ لغويّةٍ معروفةٍ، وإلّا سيكون تجاهلُها موانعَ لغويّةً للفَهم بصورةٍ كليّةٍ أو جزئيّةٍ، وهي: المستوى الصوتيّ، والمستوى الصرفيّ، والمستوى المعجميّ، والمستوى النحويّ كبدايةٍ في طريقِ فَهمِ المعنى[1].

هذه البيئة اللُّغويّة أو ما يُسمّى بالسياقِ اللُّغويّ له أثرٌ رئيسٌ في فَهمِ دلالةِ كثيرٍ من النّصوصِ التي يَصعُبُ فَهمُها على متلقّيها، إذ يكونُ في النصّ ألفاظٌ متعددةُ المعاني، فيقوم السياقُ اللغويُّ بتحديدِ دلالاتِ تلكَ الألفاظِ، ولاسيَّما حينَ تكونُ الألفاظُ من المشتركِ اللفظيّ كلفظةِ (يدٌ) مثلًا، إذ تدلُّ على: الكَفّ، والنِّعمة، وأعلى القوس، والعُود الذي في الرَّحَى، وقوة الريح، وغير ذلك[2]، والسياقُ اللُّغويُّ وحدَه الذي يحدّدُ معنىً واحدًا من بينِ تلك المعاني التي يحتملُها اللفظُ، بل إنّ إبعادَه من فَهم النّصوصِ قد يوقعُ في سوءِ فَهمٍ، ومغالطاتٍ لم يقصدْها صاحبُ النّصّ[3]. وهنا سنركّزُ على الموانعِ اللغويّةِ التي حدّدها ابنُ فارسٍ داخلَ النصّ، وهي:

1. غَرابةُ اللفظِ:

المُرادُ بالغَرابةِ، هي((كونُ الكلمةِ وحشيةً غيرَ ظاهرةِ المعنى، ولا مألوفةَ الاستعمالِ))[4]، أي أنّ معناها غامضٌ غيرُ واضحٍ، يصعُبُ فَهمُه على القارئ أو السامعِ، فيحتاجُ في معرفتِها إلى أن يُنَقّرَ عنها في كتبِ اللُّغة والمعاجمَ[5].

لقد وَضَعَ ابنُ فارسٍ غرابةَ اللفظِ السببَ الأولَ للإشكال والغموض في منعِ فَهمِ النصوصِ المتنوعة، ومعرفةِ مُرادِ صاحبِها، فضربَ لها أمثلةً مختلفةً من أنواعِ الكلام، كقولِ اللهِ تعالى: چ ڈ ژ چ[6]، وكحديثِ النبيِّ صلى اللهُ عليه وسلمَ إلى ملوكِ اليمنِ من حضرموتَ: ((**عَلَى التّيعَةِ شاةٌ، والتّيمةُ لصاحبها، وَفِي السُّيُوبِ الخُمُسُ لا خِلاطَ ولا وِراطَ ولا شِناقَ ولا شِغارَ. من أجْبَى فقد أرْبَى**))[7]، ومن شعرِ العربِ:

---

(1) ينظر: أثر السياق في فهم الأمثال العربية دراسة تطبيقية في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: 45.

(2) ينظر: لسان العرب، مادة (يَدِيَ):15/419- 423

(3) ينظر: أثر السياق في فهم الأمثال العربية: 48-49.

(4) كتاب التعريفات: 161.

(5) ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها:147/1.

(6) سورة البقرة: ٢٣٢.

(7) الآحاد والمثاني، برقم (2708): 173/5، وشعب الإيمان، برقم (1364): 3/34-36، وجامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن، برقم (5405): 4/358-360.

وقاتمِ الأعماقِ خاوي المُخْتَرَقْ مَضْبُورَةٍ قَرْواءَ هِرْجَابٍ فُنُقْ[1]

ومن الأمثالِ العربيّةِ: ((**شَرَّابٌ بِأَنْقُعٍ**))[2][3].

هذه النصوصُ المختلفةُ ضربَها ابنُ فارسٍ أمثلةً على الإشكال في الفَهم؛ وذلك لما فيها من ألفاظٍ غريبةٍ تعيقُ القارئَ أو السامعَ عن الفَهمِ الكليّ للنصّ، ومعرفةِ مرادِ صاحبِه، ففي النصّ الكريمِ حين الرجوع إليه نجدُه واضحًا تمامَ الوضوحِ في قضيّة الطلاق إلّا كلمةً واحدةً، وهي: (فلا تَعْضُلُوهنَّ)، فكانت سببًا مانعًا للفهم الكليّ للنصّ فلا يزول هذا المانعُ إلّا بالاستعانةِ بكُتُبِ التفسيرِ أو المُعجمِ، وأمثلةُ هذا النوعِ من غريبِ الألفاظِ في القرآنِ الكريمِ كثيرةٌ، فقد صَنَّفَ علماؤُنا فيه كُتُبًا كثيرةً باسمِ غريبِ القرآنِ[4]؛ وحديثُ النبيِّ صلّى اللهُ عليه وسلمَ الذي ذكره ابنُ فارسٍ مثالًا على الغريبِ في الحديثِ النبويّ الشريفِ، الذي وردت فيه عدّةُ ألفاظٍ غريبةٍ، تمنعُ فَهمَ الحديثِ، وتحتاجُ إلى مَن يوضحُها، وهي:(التِّيعَةُ، والتِّيمَةُ، وَالسُّيُوبُ، والخِلاطُ، والوِراطُ، والشِناقُ، والشِغارُ، والإجْبَاءُ)، وأمثلةُ هذا الغريبِ كثيرةٌ ممّا دعا العلماءُ للتأليف فيه، باسم غريب الحديث أيضًا[5]؛ وذلك لإزالةِ موانعِ الفَهمِ، وإيصالِ المعنى واضحًا للقارئ لا لبسَ فيه، ولا غموضَ، ومن قبلِهما– القرآنَ الكريمَ والحديثَ الشريفَ– الغريبُ شائعٌ في أشعارِ العربِ ونثرِهم، ولاسيّما ما جاء من قبل الإسلام؛ ممّا جعلَ القارئَ أو السامعَ يستعينُ على فَهمِ كثيرٍ من أشعارِهم ونثرِهم بكُتُبِ اللُّغة، والمعاجمَ، والشروحِ التي صُنِّفت لهذا الغرضِ، كبيتِ رؤبةَ بنِ العجاجِ الذي ذكره ابنُ فارسٍ مثالًا عن الغريبِ في الشعرِ، إذ وردت فيه عدّةُ ألفاظٍ من الغريبِ، تمنعُ فَهمَه، وهي:(مَضْبُورَةٌ، وقَرْواءُ، وهِرْجَابٌ، وفُنُقٌ)، ومن النثرِ المَثَلُ العربيُّ المتوقِّفُ فَهمُه على لفظِ (أنقُعٌ)[6]، وأمثالُهما الكثيرُ

---

(1) مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج: 104، هذا البيت ليس بيتًا واحدًا، وإنّما الشطر الأول من بيت، والثاني من بيت آخر، والقصيدة بهذه الصورة:

وقاتِمِ الأَعْماقِ خاوِي المُخْتَرَقْ مُشْتَبِهِ الأَعْلامِ لَمّاعِ الخَفَقْ
يَكِلُّ وَفْدُ الرِيحِ مِنْ حَيْثُ انْخَرَقْ شَأْزٍ بِمَنْ عَوَّهَ جَدْبِ المُنْطَلَقْ
ناءٍ مِنَ التَصْبِيحِ نَائِي المُغْتَبَقْ تَبْدُو لَنَا أَعْلامُهُ بَعْدَ الغَرَقْ
فِي قِطَعِ الآلِ وَهَبْوَاتِ الدُقَقْ خارِجَةً أَعْناقُهَا مِنْ مُعْتَنَقْ
تَنَشَّطَتْهُ كُلُّ مِغْلاةِ الوَهَـــــقْ مَضْبُورَةٍ قَرْواءَ هِرْجابٍ فُنُقْ

(2) جمهرة الأمثال:540/1.

(3) ينظر: الصاحبي: 41-42.

(4) منها: غريب القرآن: لابن قتيبة الدينوري (ت:276هـ)، وغريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لأبي بكر السجستاني (ت:330هـ)، والمفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى (ت:502هـ)، وغيرها.

(5) منها: غريب الحديث: لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم (ت:224هـ)، وغريب الحديث: لابن قتيبة الدينوري (ت:276هـ)، والدلائل في غريب الحديث: لقاسم بن ثابت السرقسطي (ت:302هـ)، وغيرها.

(6) ينظر: الصاحبي: 41.

من كلامِ العربِ الذي يتضمّنُ مفرداتٍ غامضةً تكونُ سببًا لمنعِ الفَهمِ بصورةٍ كليّةٍ أو جزئيّةٍ للنصّ، فالغرابةُ في المفردات سببٌ رئيسٌ للغموضِ في الكلام، ومانعٌ بارزٌ من موانعِ فَهمِ النصوصِ اللغويّةِ المختلفةِ.

2. المشتركُ اللفظيُّ:

المشتركُ اللفظيُّ، هو ((دلالةُ اللفظِ على معنيَينِ فأكثرَ))[1]، أو هو((ما وُضعَ لمعنيَينِ فأكثرَ كالقُرء للطُهرِ والحَيضِ))[2].

إنّ المشتركَ اللفظيَّ يشتمِلُ على التضادِ أيضًا، فإذا كان المشتركُ اللفظيُّ هو دلالةُ اللفظِ على معنيَينِ فأكثرَ، فإن التضادَ فرعٌ له؛ وذلك لورودِ ألفاظٍ في اللُّغة يدلُّ الواحدُ منها على معنيَينِ أيضًا، ولكنهما على التضادِ، واصطلح العلماءُ على تسميةِ هذه الألفاظِ الواردةِ بالأضدادِ[3].

المشتركُ اللفظيُّ ظاهرةٌ عامّةٌ لا تنفردُ العربيةُ وحدَها به، بل في سائرِ اللُّغاتِ ألفاظٌ مشتركةٌ يدورُ النقاشُ حولَها بين أصحابِ الاشتراكِ ومنكريه، كما يدورُ مثلُه بين أصحابِ الترادفِ ومنكريه، ولكنّ كثرتَه النسبيةَ في لغتِنا كما الترادف هي التي جعلته بحثًا مندرجًا تحتَ اتّساعِ العربيةِ في التعبيرِ على أنّه خِصّيصةٌ لا تُنكرُ من خصائصِها الذاتيّةِ[4].

تحتلُّ ظاهرةُ المشتركِ اللفظيّ مكانًا بارزًا في حقلِ الدراساتِ الدلاليّةِ؛ إذ إنّها تؤلّفُ مع مجموعةٍ من الظواهرَ الأخرى ما يُسمّى في علمِ الدلالةِ الحديثِ بالعلاقاتِ الدلاليّة، وقد اختلفت وجهاتُ نظرِ أهلِ اللُّغة والدلالةِ في صلةِ هذه الظاهرةِ بوضوحِ الدلالةِ وغموضِها، فذهبَ فريقٌ من القُدامى العربِ، ومن المحدثينَ الغربِ إلى أنّ المشتركَ اللفظيَّ يسبّبُ نوعًا من الإبهامِ والغموضِ في الدلالةِ[5].

وتعدُّ هذه الظاهرةُ وكذا ظاهرةُ التضادِ والترادفِ من مشكلاتِ المعنى؛ لأنّ الأصلَ أن يدلَّ كلُّ لفظٍ على معنًى واحدٍ، وأن يكونَ للمعنى الواحدِ لفظٌ واحدٌ، فإذا تعدّدَ المعنى واتّحدَ اللفظُ أو العكسُ، أي تعدّدَ اللفظُ واتّحدَ المعنى كما هو الحالُ في الترادفِ فهذا يعني أنّنا أمامَ مشكلةٍ من مُشكلاتِ المعنى[6].

إنَّ ابنَ فارسٍ جعلَ المشتركَ اللفظيَّ من أسبابِ الإشكالِ في فهمِ النصّ، بقوله: ((والذي يأتيه الإشكالُ لاشتراكِ اللفظِ قولُ القائلِ[7]: وَضَعوا اللُّجَّ على قَفيَّ))[1]. والإشكال هنا في هذا النصّ هو لفظُ

---

(1) إسفار الفصيح: 179/1.

(2) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: 80.

(3) ينظر: إسفار الفصيح: 179/1.

(4) ينظر: دراسات في فقه اللغة: 302.

(5) ينظر: ظاهرة المشترك اللفظي ومشكلة غموض الدلالة (بحث): 361

(6) ينظر: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: 67.

(7) القائل هو حديثُ طَلْحَة بن عبيد الله رضي الله عنه: (ينظر: غريب الحديث: لأبي عُبيد سلاّم:4/9-10).

(اللُّجّ) الذي منعَ فَهمَ النصّ بصورة كاملة، وهو من المشترك اللفظيّ، واللُّجُ هو السيفُ، وقيل في هذا النصّ قولٌ آخَر، وهو أنَّه شَبَّهَه بلُجّةِ البحرِ في هولِه، يقال: هذا لُجُّ البَحْرِ، وهذه لُجّةُ البَحْرِ[2]، و((قال بعضُهم: اللُّجُّ السَّيْفُ بلُغةِ هُذيلٍ، وطَوَائِفَ من اليَمَنِ... ولُجُّ البحرِ: الماءُ الكثيرُ الذي لا يُرى طَرَفاهُ))[3]، وفي هذه الحالِ يكونُ الاحتكامُ إلى السياقُ اللغويُّ لتحديدِ المعنى المُرادِ في اللفظِ المتعدّد المعنى.

القسم الثاني: الموانعُ غيرُ اللُّغوية

ثَمَّةَ بيئةٌ غيرُ لغويّةٍ تُعينُ على فَهمِ النصّ بصورةٍ دقيقةٍ تكونُ خارجَ النصّ، وهي ما يُعرفُ بالسياقِ غيرِ اللغويّ أو سياقِ الحالِ، وهو((مجموعةُ الاعتباراتِ، والظروفِ، والملابساتِ التي تُلابسُ النشاطَ اللغويَّ، ويكونُ لها أو ينبغي أن يكونَ تأثيرُها في ذلك النشاطِ من خارجِه بحيثُ لا تتحدّدُ دلالةُ الكلامِ أو تتجلّى مزاياه إلّا في ظلّها، وفي ضوءِ ارتباطِه بها))[4]، أو هو ((البيئةُ أو المحيطُ غيرُ اللغويّ الذي يحيطُ بالنصّ ويؤثّرُ فيه؛ وهذا المحيطُ، يشملُ: المتكلّمَ، والمخاطَبَ، والزمانَ، والمكانَ، والكلامَ السابقَ، ومَن يشهدُ الكلامَ، والعاداتِ، والتقاليدَ، والأعرافَ، والمعتقداتِ، وغيرُها من أمورٍ وُجدت في لحظةِ قولِ الكلامِ (النصّ) أو كتابتِه))[5].

إنّ إهمالَ هذه البيئةِ غيرِ اللُّغويّةِ أو تغْيِّبَها عن تحليلِ النصّ، هو بمثابةِ موانعَ غيرِ لُغويةٍ تحولُ بين القارئ وفَهمِه أو معرفةِ مرادِ صاحبِه كُليًّا أو جزئيًا؛ لِذا عندَ تحليلِ النصّ تحليلًا غيرَ لُغويّ لا بدّ من معرفةِ عناصرَ هذه البيئةِ غيرِ اللُّغويّةِ المحيطةِ بالنصّ، وأقسامِها، فالعناصرُ، هي: المتكلّمُ، والمخاطَبُ، والكلامُ (النصُّ)، ومُعَضِّداتُ الكلام، والزمانُ والمكانُ[6].

والسياقُ غيرُ اللُّغويّ هو الظروفُ الخارجيّةُ التي يقعُ فيه الحدثُ الكلاميُّ، وهو قسمانِ[7]:

- سياقُ الموقفِ (Context Of Situation): هو الظروفُ المتغيّرةُ التي تُوجدُ لحظةَ كتابةِ النصّ.
- السياقُ الثقافيُّ (Cultural Context): هو البيئةُ الثابتةُ أو المستقرّةُ التي ينشأُ فيها النصُّ.

السياقُ الثقافيُّ هو المحيطُ الثقافيُّ الذي نشأَ فيه النصُّ؛ وهو جزءٌ من السياقِ غيرِ اللُّغويّ، ومن اللُّغويينَ مَن جعلَه نوعًا مستقلًا من أنواعِ السياقاتِ الأُخرى، وهو يشملُ الاعتقاداتِ المشتركةَ بين أفرادِ المحيطِ اللُّغويّ، والمعلوماتِ التاريخيّةَ، والأعرافَ، والأفكارَ المشتركةَ بينهم، ونحو ذلك ممّا له صلةٌ

---

(1) الصاحبي:41- 42.

(2) ينظر: غريب الحديث: لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم:10/4، وجمهرة اللغة مادة (لجج):91/1.

(3) تهذيب اللغة، مادة (لجّ):264/10.

(4) المعنى في البلاغة العربيّة:194.

(5) سياق الحال في الدرس اللغوي الحديث: 24.

(6) ينظر: سياق الحال في الدرس اللغوي الحديث: 44.

(7) ينظر: المصدر نفسه: 39.

بالحياةِ الاجتماعيّةِ أو له ارتباطٌ بثقافةِ المجتمعِ السياسيّةِ أو الدينيّةِ أو الاجتماعيّةِ بوجهٍ عامٍ، ويمكنُ تقسيمُ عناصرِهِ على ثلاثةِ عناصرَ، هي: السّياقُ البيئيُّ، وسياقُ العاداتِ والأعرافِ والتّقاليدَ، والسّياقُ الدّينيُّ[1].

- **أثرُ السياقِ غيرِ اللغويّ في الفَهمِ:**

إنّ معنى أيّ نصٍّ من النّصوصِ- الذي لم يحدّدْه السياقُ اللُّغويُّ- يتحدَّدُ بسياقِ الحالِ الذي نشأَ فيه؛ إذْ لسياقِ الحالِ أو الموقفِ أثرٌ بارزٌ في تحديدِ معنى النّصِّ وفَهمِه؛ فإنّنا لا يمكنُ استخلاصُ المعنى من النصِّ نفسِه بالاعتمادِ على الأصواتِ الموجودةِ في حروفِه، والجملِ، والتراكيبِ ودلالاتِها فحسب؛ وذلك لأنَّ المعنى المعجميَّ ليس كلَّ شيءٍ في إدراكِ معنى الكلامِ؛ فثَمَّةَ عناصرُ غيرُ لغويّةٍ ذاتِ دخلٍ كبيرٍ في تحديدِ المعنى، بل هي جزءٌ أو أجزاءٌ من معنى الكلامِ؛ لِذا لابدَّ من النظرِ إلى المتكلِّمِ، والمخاطَبِ، والزمانِ، والمكانِ، وما يرافقُ الكلامَ من إشاراتٍ جسميّةٍ وإيماءاتٍ وما يحيطُ به من ملابساتٍ وظروفٍ ذاتِ صلةٍ، وغيرِ ذلك، وكلُّ ذلك يمنحُ النصَّ معنًى ويوضّحه؛ فسياقُ الموقفِ يكشفُ المعنى، ويزيلُ عنه الإبهامَ والغموضَ، بل يمكنُ القولُ إنَّ سياقَ الحالِ يقومُ بجميعِ وظائفِ السياقِ اللغويّ، بل يزيدُ عليها في تحديدِ الدلالةِ؛ لأنَّ السياقَ اللغويَّ قد يُظهرُ معنىً، بينما يدلُّ سياقُ الحالِ على خلافِه أو ضِدِّه، فالنصُّ الذي يُتَجاهلُ فيه سياقُ الحالِ لا يمكنُ الوصولُ إلى معناه الحقيقيّ[2].

لقد أشارَ ابنُ فارسٍ إلى سياقِ الحالِ أو المقامِ ورأى أنّ إغفالَه وعدمَ إدخالِه في تحليلِ النصّ من أسبابِ الإشكالِ، ومانعٍ من موانعِ الفهمِ في كثيرٍ من النصوصِ المختلفةِ، وأثبتَ ذلك بأمثلةٍ مختلفةٍ من أنواعِ الكلامِ، جميعُها مُتعلّقةٌ بأخبارٍ خارجِ النصّ، لا يُفهمُ النصُّ من دونِ معرفتِها، أي معرفةِ سياقِ حالِها، بقوله: ((والذي أشكلَ لإيماءِ قائلِه إلى خبرٍ لم يُفصَحْ به كقولِ القائلِ: لم أَفِرَّ يومَ عَيْنَيْنِ[3]، ورُويدًا ورُويدًا سَوْقَكَ بالقوارير[4]، وقول امرئ القيس: دعْ عنك نهبًا صِيحَ في حَجَراتِه[5]، وقول الآخر: إنّ

([1]) ينظر: المصدر نفسه: 40-42.

([2]) ينظر: سياق الحال في الدرس اللغوي الحديث: 55-57.

([3]) القائل هو عبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ رضي الله عنه، والعَيْنَان: اسمُ جَبَلٍ بأُحُد، ويُقال ليوم أُحُدٍ يومُ عَيْنَيْن، وهو الجَبَل الذي أَقامَ عليه الرُّماة يومَئِذٍ. (ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:334/3).

([4]) عن أنس بن مالك، أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان له حادٍ جيدُ الحداء، وكان حادي الرجال، وكان أنجشة يحدو بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فلما حدا أعنقت الإبل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " ويحك يا أنجشة، رويدًا سوقك بالقوارير". (ينظر: مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط برقم (14044): 437/21.

([5]) قال هذه الأبيات يوم أخذَ بنو جدبة إبلَه ورواحلَه، هاجيًا خالدًا السدوسيّ، وتمام البيت هو:

دَعْ عَنكَ نَهبًا صِيحَ في حَجَرَاتِهِ وَلَكِنْ حديثًا ما حديثُ الرّوَاحِلِ (ينظر: ديوان امرئ القيس:140).

العصا قُرِعَت لِذِي الحِلْمِ[1]، وفي كتابِ اللهِ جلَّ ثناؤه ما لا يُعلم معناه إلاَّ بمعرفةِ قصتِه، قولُه جلَّ ثناؤه: ﴿ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک گ گ گ گ ﴾ [2])[3].

إذًا غيابُ سياقِ الحالِ المتمثِّلِ بمعرفةِ خبرِ النصِّ وقصتِه مانعٌ من موانعِ الفَهمِ؛ لهذا وجدنا هذه النصوصَ المختلفةَ قد اتضحت دلالتُها بعد معرفة سياق حالها المتمثّل بمعرفة أخبارِها المتعلّقةِ بها.

القسم الثالث: موانعُ تتعلّقُ بطريقةِ عرضِ النصِّ

ثَمَّةَ موانعُ أشارَ إليها ابنُ فارسٍ تؤثّرُ في فَهمِ النصّ، تتعلّقُ بطريقةِ عرضِه وتقديمِه للقارئ أو السامعِ؛ فقد تكونُ حائلةً عن الفَهمِ، ومانعةً عن معرفةِ مُرادِ صاحبِه كليًّا أو جزئيًّا، وهما:

1. الإجمالُ:

الإجمالُ طريقةٌ من طُرُقِ عرضِ الكلامِ والنصوصِ اللُّغويّةِ، وهي واحدةٌ من الموانعِ التي أشارَ إليها ابنُ فارسٍ، بأنّها من أسباب قلة الفَهمِ، فما الإجمال؟.

الإجمالُ في اللُّغة الجمعُ، مشتقٌ من الفعل (جَمَلَ)، قال الخليلُ: ((الجُمْلةُ: جماعةُ كلِّ شيءٍ بكمالِه من الحسابِ وغيرِه، وأجملتُ له الحِسابَ والكلامَ من الجُملةِ))[4]، وذكر ابنُ دريدٍ: ((أجملتُ الشيءَ إجمالًا إذا جمعتُه عن تفرقهٍ، وأكثرُ ما يُستَعملُ ذلك في الكلامِ المُوجزِ، يُقالُ: أجملَ فلانٌ الجَوابَ))[5]، ولابنِ منظور: ((وجَمَلَ الشيءَ: جَمَعَه. والجَمِيلُ: الشَّحمُ يُذَابُ ثُمَّ يُجْمَلُ، أي يُجْمَع))[6].

والإجمالُ في الاصطلاحِ عرّفَه الشريفُ الجُرجانيُّ بصيغتينِ، بقوله: ((الإجمالُ: إيرادُ الكلامِ على وجهٍ يحتملُ أمورًا متعددةً، والتفصيلُ تعيينُ بعضِ تلكَ المحتملاتِ أو كلِّها... الإجمالُ: إيرادُ الكلامِ على وجهٍ مبهمٍ))[7]، وقيل: ((إجمالُ الكلامِ إيرادُه على وجهٍ لم يُبيّنْ فيه تفصيلُه))[8]، و((المُجْمَلُ: هو ما لا يُوقفُ على المُرادِ منهُ إلّا ببَيانٍ من جهةِ المُتَكَلِّم))[9].

([1]) من أمثال العرب، يقال إن ذا الحلم هذا هو عامر بن الظَّرِبِ العَدْوَاني، وكان من حكماء العرب، فلما طَعَنَ في السن أنكرَ من عقله شيئًا، فقال لبنيه: إنه قد كبرَتْ سِنِّي وعرض لي سَهْو، فإذا رأيتموني خرجْتُ من كلامي وأخذت في غيره فاقرعوا لي المِجَنَّ بالعصا. (ينظر: مجمع الأمثال:37/1).

([2]) سورة البقرة: ٩٧، هذه الآية لها سببُ نزولٍ، وهو أنّها نزلت جوابًا لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم. (ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: 377/2).

([3]) الصاحبي:41- 42.

([4]) كتاب العين، مادة (جمل): 143/6.

([5]) جمهرة اللغة، مادة (جمل):491/1.

([6]) لسان العرب، مادة (جمل): 127/11.

([7]) كتاب التعريفات:9-11.

([8]) التوقيف على مهمات التعاريف: 39.

([9]) الكليات: 42.

إذًا الإجمالُ هو إيرادُ الكلامِ على وجهٍ مُبهمٍ، لا يُعرف المُرادُ منهُ إلَّا بِبَيانٍ من جِهةِ المُتكلّمِ؛ لِذا عدّه ابنُ فارسٍ من أسبابِ الإشكالِ في النصّ، ومانعًا للفهم حتى يأتي ما يوضّحه من صاحبِ النصّ، بقوله:((والذي يُشكِلُ لأنّه لا يُحَدُّ في نفسِ الخطابِ، فكقولِه جلَّ ثناؤُه: چ ۋ ۋ چ[1]، فهذا مُجمَلٌ غيرُ مُفصّلٍ حتى فَسَّره النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلمَ))[2].

2. الإيجازُ:

الإيجازُ طريقةٌ من طُرُقِ عرضِ الكلامِ والنصوصِ اللُّغويّةِ أيضًا، ذكرها ابنُ فارسٍ بأنّها سببٌ من أسبابِ الإشكال، ومانِعٌ من موانعِ الفَهمِ أيضًا، فما الإيجاز؟.

الإيجازُ في اللُّغة هو الاختصارُ، مشتقٌّ من الفعل (وَجَزَ)، قال الخليلُ: ((أَوْجَزْتُ في الأمرِ: اخْتَصَرْتُ... تقولُ أوجَزَ فلانٌ إيجازًا في كلِّ أمرٍ، وقد أوجزَ الكلامَ والعَطيةَ... وأمرٌ وَجِيزٌ: مُختصرٌ، وكلامٌ وَجِيزٌ))[3].

والإيجازُ في الاصطلاحِ، هو((أداءُ المقصودِ بأقلَّ من العبارةِ المُتعارفةِ))[4]، أو هو((التعبيرُ عن المُرادِ المُرادِ بلفظٍ غيرِ زائدٍ والإطنابُ بلفظٍ أزيدَ))[5]، وقيل هو مرادِفٌ للاختصار[6].

إذًا الإيجازُ هو أداءُ المقصودِ بعبارةٍ مُختصرةٍ عن العبارةِ المُتعارفةِ بين الناسِ، وهذا الأمرُ لا بأسَ فيه؛ فالعربُ يتوخّونَ الإيجازَ والاختصارَ في كلامِهم، بل من عاداتِهم في العبارةِ أنّهم يميلونَ إلى أن تكونَ الألفاظُ أقلَّ من المعاني في المقدارِ والكَثرةِ، وهذا عندهم هو البلاغة[7]، ولكن الإيجازُ والاختصارُ بحدود، وقد ((قيل للأصمعي: ما حدُّ الاختصار؟ قال: حذفُ الفُضُولِ، وتقريبُ البعيدِ))[8].

وأمّا الإشكالُ في الإيجازِ فحينَ يكونُ مُخِلًّا غيرَ مَبْسوطٍ لا يفي بالمقصودِ، فيكونُ مانعًا للفَهمِ كليّا أو جزئيًّا؛ لذلك عدَّه ابنُ فارسٍ من أسباب الإشكال، بقوله: ((والذي أشكلَ لوَجَازة لفظِه قولُهم: الغَمَراتِ ثُمَّ يَنْجَلِينَا[9]))[1]، فهذا النصَّ مُشكِلٌ على القارئ لا يمكنُ فَهمُه؛ وذلك لوَجَازةِ لفظِه، كما ذكر ابنُ فارسٍ،

([1]) سورة الأنعام، جزء من الآية: ٧٢.

([2]) الصاحبي: 42.

([3]) كتاب العين، مادة (وجز):166/6، ولسان العرب، مادة (وجز):5/ 427.

([4]) كتاب التعريفات: 41.

([5]) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: 223/1.

([6]) المصدر نفسه: 291/1، وتاج العروس من جواهر القاموس، مادة (وجز): 368/15.

([7]) ينظر: عمدة الكتاب:273، وأسرار العربية: 95.

([8]) عمدة الكتاب:292.

([9]) أول من قال ذلك الأغلب العجليّ يذكرُ وقعة يوم ذي قار. (ينظر: الفاخر: 318)، ولم أقف على ديوانه، وهو شطر من قصيدة:

قد علموا يوم خلا يزينا إذْ مالتِ الأحياءُ مقبلينا

وهو –النصَّ– جزءٌ وجيزٌ من قصيدةٍ للشاعرِ الأغلبِ العجليّ يذكرُ وقعةَ يومِ ذي قارٍ الشهيرةِ بين العربِ والفرسِ، فكيفَ للقارئ أن يفهمَ نصًّا، وهو بهذه الوَجَازةِ من اللفظ؟!.

الخاتِمةُ

وفي الختامِ أحمدُ اللهَ الذي يسّرَ لي إنجازَ هذا البحثِ الذي خَرَجَ بنتيجةٍ مفادُها: أنّ ابنَ فارسٍ رحمه اللهُ تعالى قد حدّدَ موانعَ فَهمِ النصّ أو أسبابَ الإشكالِ في الكلامِ عامّةً من القرآنِ الكريمِ، والحديثِ الشريفِ، وسائرِ كلامِ العربِ شعرِه، ونثرِه، مركزًا على المفرداتِ دونَ التراكيبِ النحويّةِ، فذكرَ غرابةَ اللفظِ، والمشتركَ اللفظيَّ، هذا فيما يتعلّقُ بداخلِ النصّ، فضلًا عن ذكرِ أسبابٍ تتعلّقُ بطريقةِ عرضِ النصّ، وتقديمِه للقارئ أو السامعِ كالإجمالِ، والإيجازِ، وأمّا فيما يتعلَّقُ بخارجِ النصّ أو المقامِ أو سياقِ الحالِ فأشارَ إلى أنّ النصّ مرتبطٌ بخارجه؛ إذ قد يحتوي النصُّ على إشاراتٍ إلى الخارج، من تعلُّقٍ بخبرٍ أو قصةٍ، أو نحوها ممّا له عَلاقة بسياقِ الحالِ، وأنّ إغفالَه وعدمَ إدخاله في تحليلِ النصّ من أسبابِ الإشكالِ، ومانعٍ من موانعِ الفهمِ في كثيرٍ من النصوصِ المختلفةِ، فلا تُفهم هذه النصوصُ إلّا بمعرفة هذا السياق الخارجيّ الذي أكَّدته الدراساتُ الحديثةُ.

ثبت المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

أولًا: الكتب

1. الآحاد والمثاني: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (المتوفى: 287هـ)، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية– الرياض، ط1، 1411هـ–1991م.
2. أثر السياق في فهم الأمثال العربية دراسة تطبيقية في جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري: د. ياسر عناد كاظم، مكتبة دجلة– بغداد، ودار الوضاح–عمّان، ط1، 2021م.
3. أسرار العربية: عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ)، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1، 1420هـ– 1999م.
4. إسفار الفصيح: محمد بن علي بن محمد، أبو سهل الهروي (المتوفى: 433هـ)، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط1، 1420هـ.

أنَّا بنو عجلٍ إذا لقينا نمنعُ منَّا حدَّ من يلينا

نقارعُ السِّنينَ عنْ بنينا الغمراتِ ثمَّ ينجلينا

([1]) الصاحبي: 42.

5. إعلام الموقعين عن رب العالمين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1411هـ - 1991م
6. بلاغة الخطاب وعلم النص: د. صلاح فضل، عالم المعرفة- الكويت، 1992م.
7. البيان والتبيين: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423هـ .
8. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من التحقيقين، دار الهداية.
9. تهذيب اللُّغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، التحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م.
10. التوقيف على مهمات التعاريف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: 1031هـ)، عالم الكتب- القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.
11. ثمرُ الثُّمام شرحُ غاية الإحكام في آداب الفهم والإفهام: محمد بن محمد بن أحمد السنباوي الأزهري المعروف بالأمير الكبير، دار المنهاج- بيروت، ط1، 1430هـ، 2009م.
12. جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، التحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1420 هـ - 2000 م.
13. جامع المسانيد والسُّنَن الهادي لأقوم سَنَن: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله الدهيش، دار خضر- بيروت، ط2، 1419 هـ - 1998 م.
14. جمهرة الأمثال: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، دار الفكر- بيروت.
15. جمهرة اللُّغة: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط1، 1987م.
16. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ)، تحقيق: د. مازن المبارك، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط1، 1411هـ.

17. الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النص والسياق: د. خلود العموش، عالم الكتب الحديث- الأردن، ط1، 1429هـ، 2008م.
18. دراسات في فقه اللُّغة: د. صبحي إبراهيم الصالح (المتوفى: 1407هـ)، دار العلم للملايين، ط1، 1379هـ - 1960م.
19. ديوان امرِئ القيس: امْرُؤُ القَيْس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (المتوفى: 545 م)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة- بيروت، ط2، 1425هـ - 2004م.
20. سياق الحال في الدرس اللغوي الحديث: د. ياسر عناد كاظم، مكتبة دجلة- بغداد، ط1، 2024م.
21. شعب الإيمان: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد- الرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1423هـ - 2003م.
22. الصاحبي في فقه اللُّغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، محمد علي بيضون، ط1، 1418هـ-1997م.
23. الصحاح تاج اللُّغة وصحاح العربية: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين- بيروت، ط4، 1407 هـ- 1987م.
24. العربيّة والغموض دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى: د. حلمي خليل، دار المعرفة الجامعيّة- مصر، ط2، 2013م.
25. علم لغة النص: د. عزة شبل محمد، مكتبة الآداب- القاهرة، ط2، 1420هـ، 2009م.
26. العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401 هـ- 1981 م.
27. عمدة الكتاب: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، التحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - الجفان والجابي للطباعة والنشر، ط1، 1425 هـ - 2004 م.
28. غريب الحديث: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية- حيدر آباد، ط1، 1384هـ - 1964م.

29. الفاخر: المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (المتوفى: نحو 290هـ)، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ط1، 1380هـ.
30. كتاب التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ)، التحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1403هـ ، 1983م.
31. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: 170هـ)، التحقيق: د مهدي المخزومي، وآخر، دار ومكتبة الهلال.
32. الكليات: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: 1094هـ)، التحقيق: عدنان درويش، وآخر، مؤسسة الرسالة- بيروت.
33. لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، دار صادر- بيروت، ط3، 1414 هـ.
34. مجمع الأمثال: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: 518هـ)، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة- بيروت.
35. مجموع أشعار العرب، وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج: اعتنى بتصحيحه وترتيبه وليم بن الورد البروسيّ، دار ابن قتيبة- الكويت.
36. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، التحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي- بيروت، ط3، 1416 هـ - 1996م.
37. مدخل إلى علم لغة النص: إلهام أبو غزالة وعلي خليل حمد، دار الكتاب، ط1، 1413هـ، 1992م.
38. المزهر في علوم اللُّغة وأنواعها: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، التحقيق: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ، 1998م.
39. مسند الإمام أحمد بن حنبل: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1421هـ- 2001م.
40. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، التحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

41. معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، التحقيق: د محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب- القاهرة، ط1، 1424هـ - 2004 م.
42. معجم مقاييس اللُّغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، التحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م.
43. المعنى في البلاغة العربية: د. حسن طبل، دار الفكر العربيّ- القاهرة، ط1، 1418هـ-1998م.
44. مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: د. محمد محمد يونس، دار الكتاب الجديد- بيروت، ط1، 2004م.
45. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النصّ الفارسيّ إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط1، 1996م.
46. نحوُ النص: د. أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ط1، 2001م.
47. النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، وآخر، المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ- 1979م.

ثانيًا: الدوريات

48. طبيعة النص وعلاقته بسياق المقام (بحث): شريفة بلحوت، مجلة الأثر، عدد خاص: اشغال المؤتمر الوطني الاول حول اللسانيات والرواية، جامعة تيزي وزو- الجزائر، 2012م.
49. ظاهرة المشترك اللفظيّ ومشكلة غموض الدلالة (بحث): د. أحمد نصيف الجنابي، الجامعة المستنصريّة، (بدون).